صلوات على الشاطىء

لمؤلفه فضيلة الأستاذ أحمد الشرباصى

« هذه صورة وصفية ونقدية كتبها الأديب القصصى الموهوب الأستاذ محمد لبيب البوهى المهندس ،وصاحب رسائل « قصص الدنيا والدين » الممتعة، ومن خيرة الدعاة للفكرة الإسلامية »

لابدمن إشارة عابرة إلى شخصية الأستاذ أحمد الشرباصى، قبل الكتابة عن كتاب فضيلته : « صلوات على الشاطىء » ذلك لأن شخصيته الكريمة تنساب بالرغم منه فى كل سطر من سطور هذا الكتاب .

إننى أعرف فضيلة الأستاذ الشرباصى أكثر مما أعرف نفسى ... عرفته قبل أن ألقاه بسنوات طوال حين كان طالبا بالأزهر الشريف ، وكان اسمه يضىء من حرارة ما يكتب فى أكثر المجلات التى كانت تعنى بكل صنوف الثقافة فى ذلك الحين ... وتعودت بعد ذلك أن أنظر إلى عنوان المقال، ثم أقرأ منه سطوره الأولى ، فأوقن بأننى سأجده فى النهاية مجهورا باسم « أحمد الشرباصى » ... وذلك لأن الذين يكتبون من قلوبهم تعرف أسلوبهم بسماتهم ... ولقد تميزت كتابات فضيلته بطابع خاص وأسلوب خاص... وهذه هى سمات الكاتب المجيد .

ولكن فيم كان يكتب وقتئذ طالب الدين ؟ ...

لقد كان يكتب فى كل شىء ، ويطرق بقوة وحكمة كل موضوع . . .

وقد يدهش كثيرون من أن يكتب رجل الدين فى كل مايمس حياة الناس من قريب أو من بعيد؛ولكنى لم أدهش لأنى كنت أرى بوادر نور جديد ، وكنت أرى الأستاذ الشرباصى من حملة مشاعله .

إنه أحد القلائل الذين بددوا الظلمات التى راكمها الاستعمار فى النفوس ، لتحول بين الناس وبين حقيقة الإسلام ، وأقروا فى الأذهان أن رجل الدين يجب أن يكون فى عزلة عن الحياة العامة ، لا يسعى إلى دنيا الناس ليسدد خطاهم فى دروبها ومساربها ، بل عليه فقط أن ينتظرهم فى المسجد ليتحدث إليهم فى الصوم وفرائض الوضوء .

هكذا أراد الاستعمار ، وهكذا أوشك أن أقول قد كان له ماأراد.. حتى أراد الله خيراً بالإسلام والمسلمين ، فقام رجال قلائل يحطمون بقوة هذه الجدران الصفيقة التى أقامها الاستعمار بين المسلمين وبين حقيقة الإسلام ؛ وكان الأستاذ الشرباصى من هذه الفئة القليلة المباركة ، وكنت أسمع صوت مطرقته وهو يحطم هذه الأغلال ؛وهكذا عرفته قبل أن ألقاه !.

* * *

ومن عادة الناس أن يرسموا فى أذهانهم صورة يجسمها الخيال لمن يحبون قبل أن يلقوهم ، حتى إذا رأوهم رأى العين وجدوا من طبيعة الحياة البشرية مايهبط بهذه الصورة الرائعة قليلا أو كثيرا ، ولكنى والحق يقال وجدت الأستاذ الشرباصى حين لقيته أكبر من الصورة التى رسمتها له فى خيالى .

ثم تكرر هذا اللقاء ، فكانت هذه الصورة تزداد بعد كل مرة فى نفسى اتساعا وعمقا، إذ أكشف زاوية من زوايا نفسه التى يحرص تواضعا وإيثارا لدينه أن تظل خبيئة عن الأنظار ، ولقد كنت أمازحه أحيانا حين ألقاه فأقول : إن الناس يقولون عنك أشياء . فلا يسألنى ماهى ، وإنما يقول وهو يبتسم : إننى كأبى ضمضم ، وقد تصدقت بعرضى على الناس ! .

* * *

هذا الجانب الذى ألمحت إلى طرف منه من شخصية الأستاذ الشرباصى ستجد تفاصيله فى كتابه : «صلوات على الشاطىء» مما كان لابد من تبيانه ، حتى تلمح هذه الشخصية الحلوة المرحة ، تمشى معك فى كل سطر من سطور الكتاب ! ..

فأنت تراه يريد أن يستجم ، وأن ينسى الناس ، وأن ينسى الحياة ، ويعيش لنفسه كما يقول أياما معدودات ، ولكنه ما إن يهبط شاطىء رأس البر حتى يذكر ما كان يريد أن ينساه ، فيذكر الناس ويذكر الحياة ، ويأسى لبؤس البؤساء ، ويشقى لشقاء الأشقياء ؛ والشىء الوحيد الذى ينساه على الشاطىء هو نفسه التى كان قد عقد العزم على أن يعيش لها أياما ؛ ولعل هذا أيضا يضطرنى إلى العودة إلى شخصية الأستاذ الشرباصى من جديد مرة أخرى ..

فهو ما إن يرى إنسانا حتى يذهب يفكر .. ماذا يعمل لهذا الإنسان ؟ وكيف يقدم له خدمة ما ؟ .. وما هى الطرائق التى يصل بها بين قلبه الكبير وقلب محدثه ؟ ..

ولقد كنت أحس ذلك تماما وهو يتحدث إلى ؟ أو وهو يتحدث إلى الناس ، أو وهو منصرف بكليته إلى قوم غرباء عرفهم من « أوغنده » فشعر أو أشعر نفسه أنه أصبح مسئولا عن بعض أمرهم .. وما من مرة لقيته فيها إلا رأيته يقدم إلى هدية من نوع ما ؛ وهو مع تلاميذه الذين يعلمهم فى الأزهر كأنه واحد منهم ، لولا فارق السن ما فرقت بينهم ، ونصائحه وتوجيهاته يلقيها فى لباقة ، وأسلوب رشيق حكيم ؛ فإذا لم تسعفك الفراسة ما أدركت أنه ينصح أو يوجه ، وإذا هم أحد تلاميذه بالانصراف فسيجد الهدية فى انتظاره : كتابا قيما ، أو مجموعة من مجلات ثقافية إلى غير ذلك من هذه الصلات القلبية التى ستقف عندها طويلا فى كتاب : « صلوات على الشاطىء » :

إن هذا الكتاب هو قصة الحياة العصرية كما يراها رجل الدين ، ومن عجب أن يكون الشاطىء عندنا عنوانا على اللهو والمجون ؛ ولكن الأستاذ الشرباصى يجعل منه مادة عبادة ؛ شأن رجل الدين الذى يبحث عن آيات الله ، ويراها فى كل شىء . . . فى ذرات الرمال ، وأمواج البحار ، وخطرات النسيم . . . وفى هذا الصراع بين الطبيعة والإنسان .

وأنت ترى قلم الأستاذ يعمل فى هذا كله ، وترى شخصيته تسير معك جنبا إلى جنب ، فلا تحس أنك تقرأ كتاباً فحسب ، ولكنك تسافر إلى « رأس البر » للاستجمام وإراحة أعصابك ، فإذا بأعصابك تثور ، وإذا بروحك تثور أيضاً . وإذا الأستاذ الشرباصى غاضب فى أكثر الأحيان ، ينقشع غضبه ليرسم لكل داء دواء ! . . .

أما بعد فلقد كنت فى جهة « الفيوم » منذ عهد قريب ، وسمعت رجلا فاضلا فى أحد المجالس يذكر رجالا أفاضل من علماء الأزهر ، يعتبرهم من قادة الفكر فى هذه الآونة من الزمان ، وسمعته يذكر الأستاذ الشرباصى فيمن ذكر . . .

وإننى أومن تماما بما قد سمعت ! . .

محمد لبيب البوهى

كلمـــــة

كنت أسائل نفسى حينما مسكت القلم لأكتب كلمة « للبعثة » كيف أبدأ كلمتى ؟ هل أبدأها بآية من القرآن الكريم ؟ ام بحديث نبوى شريف ، أم بحكمة عربية عالية ؟

كل هذه الأسئلة دارت بخيالى وأنا بصدد الكتابة « للبعثة » العزيزة . وأخيراً عزمت أن أبدأ كلمتى بآية من كلام الله تعالى .

قال الله تعالى فى كتابه الكريم « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر... » وقد أنزل الله تعالى هذه الآية الكريمة ، إكراماً للعرب والمسلمين ؛ ومنها نرى أن الله تعالى فضل الإسلام على جميع الأديان ، كما فضل العرب على جميع الأمم الأخرى ؛ فعلينا أن نعمل بما جاء فى ديننا الحنيف ، وأن نعمل على نفع أمتنا وبلادنا بجميع الطرق ، كاقامة المنشآت الدينية والاجتماعية ، وإقامة النوادى الأدبية والرياضية ، وتربية الجيل الحاضر تربية عربية صحيحة سليمة ، أساسها الدين الصحيح وقوامها الأخلاق الفاضلة الكريمة ، وبدون الأخلاق لا يمكن لأى شعب من شعوب العالم النهوض والتقدم والنجاح ، وقد قال الشاعر :

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت
فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

يجب أن نعمل على إحياء تراثنا العربى المجيد ، ذلك التراث الخالد العظيم ، الذى خلق الصفات الحميدة ، فى أجدادنا الكرام ، كالكرم ، والشجاعة والشهامة ، والتسامح ، والتفانى فى خدمة الحق والعدل .

إن أجدادنا الكرام أخضعوا العالم بالإيمان القويم ، والدين الصحيح ، والصفات الحميدة الفاضلة فهذا هو سلاحهم الذى انتصروا به على جميع الأمم .

وإننى لأرجو أن نكون مثل أجدادنا السابقين الذين خلدهم التاريخ فى صفحات من نور ، وأن نرفع مشعل الحضارة والمدنية الحقة مثلما رفعوا ، والله ولى التوفيق .

« كليه فكتوريا بالاسكندرية » عبد اللطيف يوسف الحمد